الجامعة: تكريت

الكلية: التربية للبنات

القسم: علوم القرآن والتربية الإسلامية

المادة: البلاغة القرآنية

المرحلة: الثانية

عنوان المحاضرة: فصاحة الكلام

اسم التدريسي: م.م خوله عزيز رشيد

الإيميل الجامعي: Khawlah.azeez٥١٩@st.tu.edu.iq

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام: سلامته بعد فصاحة مفُرداته ممَّا يُبهم معناه، ويحول دون المراد منه.

وتتحقَّق فصاحته بخلُوه من ستة عيوب:

١- تنافر الكلمات مجتمعة

٢- ضعف التأليف

٣- التعقيد اللفظي

٤- التعقيد المعنوي

٥- كثرة التكرار

٦- تتابُع الإضافات

الأول: تنافُر الكلمات مُجتمعة: أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع من تركيبها مع بعضها، عَسرة النّطق بها مُجتمعةً على اللّسان (وإن كان كلّ جزءٍ منه على انفراده فصيحاً)، والتنافر يَحصُل: إمّا بتجاوُز كلمات متقاربة الحروف، وإمّا بتكرير كلمة واحدة.

أ-ومنه شديد الثِّقل: كالشطر الثاني في قوله:

وَقبرُ حرب بمكان قفرٌ وَليس قَرب قبر حربٍ قبرُ

ب-ومنه خفيف الثِّقل كالشطر الأول في قول أبي تمَّام:

كريمٌ متى أمدَحهُ والورى معي، وإذا ما لُمتُه لُمتُه وحدي

الثاني: ضعف التأليف: أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشُتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء، كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف، مع أنّه يجب الفصل في تلك الحالة، كقول المتنبي:

خَلتِ البلادُ من الغزالةِ ليلَهَا فأعاضهَاكَ اللهُ كيلا تحزنا

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً وَرتُبةً وحكماً في غير أبوابه نحو:

ولو أنَّ مَجداً أخلدَ الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجده الدهرَ مطعما

الثالث: التعقيد اللفظي: هو كون الكلام خفيّ الدّلالة على المعنى المراد به، بحيث تكون الألفاظ غير مُرتبة على وفق ترتيب المعاني.

وينشأ ذلك التّعقيد من تقديمٍ أو تأخيرٍ أو فصلٍ بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض، وهو مذموم؛ لأنّه يُوجبُ اختلال المعنى واضطرابه، من وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها، كقول المتنبي:

جفخت وهم لا يجفخونَ بها بهم شيمٌ على الحسَب الأغرّ دلائلُ

أصله جفخت: افتخرت، بهم شِيمَ: دلائل على الحسب الأغرِّ وهم لا يجفخون بها.

الرابع: التعقيد المعنوي: كون التركيب خفيّ الدَّلالة على المعنى المراد، بحيث لا يُفهم معناه إلاّ بعد عناءٍ وتفكيرٍ طويل.

وذلك لخللٍ في انتقالِ الذهن من المعنى الأصـــلي إلى المعنى المقصـــود بســـبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقرة إلى وســـائط كثيرة، مع عدم ظهور القرائن الدّالة على المقصـــود، بأن يكون فهمُ المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم عُرفا، كما في قول عبّاس بن الأحنَف:

سأطلُبُ بُعد الدّار عنكم لِتقرُبوا وتسكُبُ عيناي الدُّموع لِتجمُدا

جعلَ سكبَ الدُموع كنايةً عمّا يلزمُ في فراقِ الأحبَّة من الحزن والكمد، فأحسنَ وأصابَ في ذلك، ولكنَّه أخطأ في جعل جمودِ العين كنايةً عمَّا يوجبه التَّلاقي من الفرح والسُـــرُور بقُرب أحبتّه، وهو خفيّ وبعيدٌ، إذ لم يُعرف في كلام العرب عند الدُّعاء لشخصٍ بالسرور أن يقال له: جمُدت عينك، أو لا زالت عينك جامدة، بل المعروف عندهم أنّ جمود العين إنّما يكنّى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخنساء:

أعينيّ جودا ولا تجمُدا ألا تبكيانِ لصَخرِ النَّدى

وكما في قول أبي عطاء يرثى ابن هُبيرة:

ألا إنَّ عيناً لم تجُدْ يومَ واسطٍ عليك بجاري دمعِها لَجَمود

وهكذا كلُّ الكنايات التي تســـتعملها العرب لأَغراض ويُغَيرها المتكلمُ، ويريد بها أغراضـــاً أُخرى تُعتبر خروجاً عن سُنن العرب في استعمالاتهم – ويُعدّ ذلك تعقيداً في المعنى؛ حيث لا يكون المراد بها واضحاً.

الخامس: كثرة التكرار: كون اللفظ الواحد: اسماً – كان أو فعلاً – أو حرفاً.

وسواء أكان الاسم: ظاهراً، أو ضميراً، تعدّد مرَّةً بعد أُخرى بغير فائدة، كقوله:

إنّي وأسطارٍ سُطِرْنَ سَطراً لَقائلٌ يا نصرُ نصرٌ نصراَ

وكقول المتنبي:

أقِلْ أنِلْ أُن صُن احمل علِّ سَلِّ أعِد زِد هَشَّ بَشَّ هَبْ اغفرْ أذْنِ سُرَّصِلِ

وكقول أبي تمَّام في المديح:

كأنَّه في اجتمـــاع الـــرُّوح فيه لَهُ في كلِّ جارحـــةٍ من جسمِـــهِ رُوحُ

السادس: تتابعُ الإضَافات: كون الاسم مضافاً إضافةً مُتداخلة غالباً، كقول ابن بابك:

حمامَةَ جَرعا حَوْمِةِ الجَنْدَلِ اسجَعِي فأنتِ بمـــرْأى من سُعادَ ومَسمـــع

وملخّص القول: إنَّ فصـــاحة الكلام تكون بخُلوَّه من تنافر كلماته، ومن ضـــعف تأليفه، وتعقيد معناه، ومن وضع ألفاظه في غير المواضعِ اللائقة بها.